رواية

أمل العودة

نور الهدى الهاشمي

كتوباتي
kotobati

أمل العودة

نورالهدى الهاشمي

رواية

الكتـــــــــــاب: أمل العودة

تـــــــــــأليف: نورالهدى الهاشمي

النوعيـــــــــــة: رواية خيال علمي

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

مقدمة المؤلف..... 5
الفصل 1 6
الفصل 2 9
الفصل 3 12
الفصل 4 14
الفصل 5 17
الفصل 6 19
الفصل 7 21
الفصل 8 25
الفصل 9 29
الفصل 10 32
الفصل 11 35
الفصل 12 38
الفصل 13 41
الفصل 14 44
الفصل 15 51

إهداء

إلى أمي الغالية، صديقتي ومعلمتي، ملاذي الدافئ الذي يبدد وحشتي، وأولى قرّائي.

إلى عيني الناقدة ورفيقة رحلتي في كل كلمة، شكرا لإيمانك بي، و لدعمك الدائم وحبك غير المشروط.

مقدمة المؤلف

بعض العناصر الواردة في هذا العمل، مثل الساعة التي تحمل رمزي الصليب المعقوف والنسر، استخدمت لأغراض تصميمية خيالية فقط ولا تحمل أي دلالات سياسية، دينية أو أيديولوجية. لا توجد نية للترويج أو التطرق إلى الأيديولوجيات المرتبطة بهذه الرموز.

نورالهدى الهاشمي

الفصل 1

أشرقت شمس صفرو وأرخت بظلالها على مرتفعات المدينة، مرسلة أشعتها الناعمة على منازل مساي وسطوحه. استيقظت أمل من نومها، بقيت مستلقية في فراشها الوثير مدة من الزمن، وعيناها نصف مغمضتين، عادة لم تنجح في التخلص منها، أخيرا عقدت عزمها وقامت من سريرها، لبست خفيها واتجهت نحو نافذة غرفتها لتفتحها. حدقت لبرهة في السماء، يوم آخر رتيب من أيام العطلة الصيفية. تمنت للحظة لو أن المدرسة لا تغلق أبوابها نهاية العام الدراسي، سرعان ما صرفت الفكرة عن مخيلتها لسخافتها. فجأة تذكرت أن اليوم الخميس، يوم السوق الأسبوعي بالمدينة. تذكرت أمل وعد أمها لها باصطحابها هذا اليوم إلى السوق الشعبي، كانت والدة أمل السيدة لطيفة امرأة في أوائل الأربعين من عمرها، متوسطة القامة، نحيلة إلى حد ما، ذات بشرة فاتحة وعينين بنيتين واسعتين. شعرها قصير داكن اللون، ملامح وجهها حادة تنم عن الفطنة والحكمة. ترتدي أغلب الوقت بذلة سوداء مع حذاء جلدي بكعب صغير، لكن اليوم عطلة لذا فضلت ارتداء سروال فضفاض وسترة قطنية مريحة مع صندل مسطح، تشتغل والدة أمل، السيدة لطيفة مدرسة للغة

الفرنسية وتعمل بدوام جزئي في عدة مراكز تعليمية إضافة إلى مقر عملها الرئيسي لتأمين مستوى عيش راق لابنتها والاستجابة لنزواتها الغريبة في التسوق. نادت لطيفة ابنتها من أسفل الدرج، أجفلت أمل لسماع صوت أمها الذي أخرجها من أحلام اليقظة، فاتجهت مسرعة نحو خزانة ملابسها وأخرجت منه فستانا صيفيا أبيض قصيرا، ارتدته على عجلة من أمرها، بعد أن دخلت الحمام لتغسل وجهها وتمشط شعرها. حملت حقيبة ظهرها الصغيرة، انتعلت حذاءها ونزلت السلالم قفزا، توجهت إلى المطبخ قبلت أمها وجلست إلى مائدة الفطور، ارتشفت القليل من الشاي، وهي تومئ برأسها لأمها تتظاهر أنها تصغي إلى حديثها، والحقيقة أنها لم تسمع كلمة واحدة من ما كانت تحدثها به، فقد كانت مستغرقة في التأمل والتفكير محاولة استرجاع حلم غريب أقض مضجعها ليلة البارحة، حيث رأت نفسها سجينة بعد أن ألقي القبض عليها في بلاد غريبة، عزت الأمر في نفسها إلى كثرة مشاهدتها لبرامج السجون مؤخرا. أنهت الأم وابنتها فطورهما، قامتا عن المائدة، ثم عبرتا بهو المنزل متجهتين خارجا. صعدت أمل إلى السيارة أولا، ركبت في المقعد الأمامي بجانب السائق ووضعت حزام الأمان. سرعان ما تنبهت إلى تأخر أمها، التي تستغرق وقتا كلما خرجت من البيت في إقفال بابه والتأكد

عدة مرات من استحالة فتحه. عادة لازمتها منذ صغرها بعد تعرض منزل والديها للسرقة حين كانت في العاشرة من عمرها من قبل ثلاثة لصوص استغلوا فرصة سفر العائلة وغيابها عن البيت. فتحت أمل نافذة السيارة ونادت أمها مستعجلة إياها. صعدت الأم بخفة إلى سيارتها واستقرت في لحظات خلف المقود، وضعت حزام الأمان، أشعلت محرك السيارة، ضغطت بقوة على الدواسات فانطلقت المركبة.

الفصل 2

استرخت أمل في مقعدها تحدق بشرود عبر زجاج السيارة إلى واجهات المحال التجارية، بينما كانت أمها بجانبها تحكم إمساك المقود بكلتا يديها وتصغي باهتمام بالغ إلى الراديو الذي أخذ يسرد عناوين أخبار مضت خلال اليومين السابقين، جلها تخص حوادث سرقة وجرائم قتل لم يفك لغزها بعد. شعرت الأم بقشعريرة تسري في ظهرها لسماع مثل هذه الأنباء، فأخذت تقلب الإذاعات تبحث عن شيء مثير حتى استقرت على واحدة تبث إحدى أغاني الجاز الشهيرة. أحست أمل باهتزاز في حقيبتها ففتحتها وأخرجت هاتفها، لم تكن سوى إشعارات مرسلة من إحدى الصفحات الإخبارية، تفقدت الساعة فوجدتها تشير إلى التاسعة والنصف، رفعت بصرها فرأت والدتها تردد كلمات الأغنية، ابتسمت أمل وشاركتها بدورها في الغناء. لم تمر سوى دقائق قليلة حتى توقفت السيارة، نظرت أمل إلى والدتها متسائلة : "هل وصلنا ؟" فأجابت الأم: "نعم."

نزلت أمل من السيارة وأخذت تلوح ببصرها في الأرجاء إذ لم يسبق لها أن قدمت إلى السوق الأسبوعي قبل اليوم، ساعدت والدتها في إخراج عربة

التسوق الصغيرة من صندوق السيارة ثم انطلقتا إلى داخل السوق. كان المكان يعج بالمتسوقين، معظمهم من الضواحي وسكان القرى المجاورة الذين يحرصون على عدم تفويت التسوق يوم الخميس. عبرت أمل وأمها سوق الخضراوات والفواكه بمشقة الأنفس متجاوزتين جيشا من العربات المحملة بخيرات الجهة، يسوق كل واحدة منها بائع يصدح بأعلى صوته بأثمنة بضاعته، فيأتي الزبائن وكل واحد منهم متسلح بكيس بلاستيكي يملأه بصنف أو بآخر من الفواكه أو الخضراوات، يمده إلى البائع ليزنه فيشرع الزبون حينئذ في ملء أو إفراغ كيسه حتى يصل إلى الوزن المطلوب، لتبدأ حينئذ عملية المساومة.

سلكت السيدتان أزقة وشوارع ضيقة تحفظها الأم عن ظهر قلب، متجهتين إلى سوق الأثواب والأشياء المستعملة، لم تسلم هذه البقعة المخفية هي الأخرى من الازدحام، جل البائعات كن سيدات كبيرات في السن أو عجائز يفترشن الأرض ويعرضن سلعهن للبيع. أغلبها أثواب، ستائر، وسائد وأغلفة للكنبات أو حتى أثاثا بسيطا بما في ذلك كؤوس وأطباق. لفت انتباه الأم طبق مزخرف، أخذت تفحصه وتقلبه بين يديها، سألت بائعته عن ثمنه إلا أنها لم تقتنع به فأعادته مكانه، وأمسكت بيد ابنتها متجهتين صوب سيدة أخرى

كانت تبيع هذه المرة وسائد صالون مغربي، انتقت الأم وسادتين حمراوتين صغيرتين لتضعهما فوق كنبة البهو السوداء، بعد شد وجذب اتفقت السيدتان فدفعت لطيفة خمسين درهما كثمن لهما، وضعت الأم مقتنياتها داخل عربتها المتحركة، واقتادت ابنتها نحو سيدة في الزاوية تعرض كؤوسا وأطباقا خزفية، حملت الأم طبقا مزخرفا بين يديها، أمعنت فيه النظر قليلا إلا أنه لم يعجبها فأرجعته إلى صاحبته واستدارت تمسح المكان بعينيها بحثا عن شيء يثير اهتمامها.

الفصل 3

قضت أمل ووالدتها أكثر من ساعتين وهما تتجولان في السوق، شعرت أمل بالتعب فجلست على الرصيف قبل أن تراها أمها وتوبخها، ماهي إلا دقائق حتى عثرت الأم على ضالتها، وجدت سيدة تبيع لوحات تشكيلية، أخذت لطيفة تفحص كل واحدة على حدة حتى عزمت على أخذ واحدة كبيرة تجسد مياها تنهمر من شلال وسط غابة خضراء. اتفقت الأم والبائعة بعد مساومة دامت طويلا. دفعت لطيفة ما عليها، تأبطت لوحتها، أمسكت بيد ابنتها واقتادتها إلى خارج السوق، حتى لمحت أمل فجأة شيئا يلمع أثار انتباهها وسط كومة من الأغراض المستعملة تبيعها امرأة عجوز ذات عينين غائرتين، تغضن وجهها بتجاعيد الزمن وغزا الشيب رأسها. أفلتت أمل يد والدتها واتجهت نحو العجوز بحثا عن الشيء البراق، إلا أنها أحست بخيبة أمل حين اكتشفت أن الشيء اللامع لم يكن سوى قفل ذهبي صغير لا قيمة له، حين همت بالرجوع لمحت بطرف عينها شيئا ذا قيمة هذه المرة، ساعة جيب فضية بسلسلة، يعلو غطاءها نقش على شكل نسر يفرد جناحيه، سألت أمل البائعة عن ثمنها، وقبل أن تفتح فمها لتجيب وصلت الأم، نظرت إلى الساعة بين

يدي ابنتها وحثتها على الإسراع فحرارة الشمس تشتد وكذلك الازدحام، رجت الابنة أمها لاقتناء الساعة، فلم تجد الأم بدا من ذلك أمام نظرات أمل المتوسلة، أخرجت محفظتها ونقدت البائعة ثمنها. دست أمل الساعة في حقيبة ظهرها مزهوة وأمسكت بيد أمها ثم عبرتا الأزقة الضيقة لتصلا إلى السوق الرئيسي حيث عربات الخضراوات والفواكه، ومن ثم إلى سيارتهما المركونة تحت شجرة كرز كبيرة.

أثناء الطريق انتاب أمل شعور غريب، شيء ما غامض شدها إلى تلك الساعة رغم كونها عتيقة، كما أن شكلها قد لا يتناسب مع ملابسها والظاهر أنها معطلة. وصلت السيدتان بشق الأنفس إلى مكان ركن سيارتهما بسبب تدفق الأجسام البشرية. ساعدت أمل أمها في وضع مقتنياتها في صندوق السيارة، ثم غادرتا.

أمل فتاة في ربيعها السادس عشر، هادئة الطباع، خجولة بعض الشيء، ذات شعر بني فاتح تربطه على شكل ذيل حصان أغلب الوقت، وعينين بنيتين واسعتين ورثتهما عن أمها، نحيلة وطويلة القامة بالنظر إلى عمرها.

الفصل 4

تناولت أمل وأمها الطعام خارجا، حين عودتهما ساعدت أمل والدتها في إنزال المشتريات و إدخالها إلى المنزل، لاحقا شرعت لطيفة في البحث عن مكان ملائم لتعليق لوحتها بعد أن وجدت إضاءة البهو غير مناسبة للوحة، فاتجهت نحو مدخل البيت وعلقتها هناك. في تلك الأثناء صعدت أمل إلى غرفتها وخبأت ساعة الجيب في درج خزانتها، ثم دخلت الحمام لتغتسل. دخلت غرفتها، استلقت على سريرها وجذبت إليها إحدى المجلات، أخذت تقلب صفحاتها على غير هوادة وتتفرج على الصور، لا شيء مهما يذكر. أخيرا رمت المجلة أرضا واستمرت تحدق في السقف وذهنها مشوش، يبدو أن حلم الليلة الماضية قد أخذ حيزا كبيرا من تفكيرها، قامت عن سريرها واتجهت نحو خزانتها، فتحت الدرج الأوسط الصغير وأخرجت الساعة منه. أخذت تتأمل مليا غطائها المزدان بنقش نسر، إذ لم تتح لها الفرصة لفعل ذلك قبل الحين، كان الطائر يفرد جناحيه بشكل مهيب ويشيح برأسه نحو اليمين، يقف بقدميه فوق دائرة سميكة تحيط صليبا معقوفا، مررت أصابع يدها اليمنى فوق النقش، شعرت لوهلة أن الرسم مألوف لديها، شدت الغطاء وفتحته على مهل،

صدق حدس الأم هذه المرة أيضا فيبدو أن الساعة معطلة، كانت ذات شكل غريب، لم تكن تشتمل على عقارب كما يوحي الأمر بشكلها الخارجي، بل كانت أشبه بالساعات الإلكترونية، غير أنها تشتمل على خمسة أعداد مركبة، يفصل بين كل عددين منها خط عمودي أسود رفيع، نظرت أمل بريبة إلى الأعداد، فالعدد الأول مكون من أربعة أرقام، بينما باقي الأعداد مكونة من رقمين فقط، أضف إلى ذلك توجد خمسة أعداد، أكثر مما يفترض بها أن تكون، سرعان ما استنتجت أن العدد الأكبر المكون من أربعة أرقام لا بد أن يشير إلى السنة الميلادية وباقي الأعداد ستكون على التوالي الشهر، اليوم، الساعة، والدقيقة. ازدادت غرابة الساعة أكثر ومعها ازداد ارتياب أمل، أخذت تقلبها بين يديها وتفحصها مليا وهي ترجو من أعماق قلبها أن تعثر على زر تشغيلها، مررت يدها على الجوانب إلى أن عثرت على زر دائري عريض في أعلى الساعة بالمنتصف تماما، ضغطته عدة مرات بسبابة يدها اليمنى ولم يطرأ أي تغيير على الأرقام، ليس هذا ما كانت تبحث عنه إذا، أمعنت النظر فيه مرة أخرى فلمحت حرف k نقش على الزر.، لم يخطر ببالها ما قد يرمز إليه الحرف، مررت يدها لتتحسس أزرارا أخرى، فعثرت هذه المرة في منتصف

الجانب الأيسر من الساعة على زر أصغر من سابقه، يكاد المرء لا يلمحه، يعلوه حرف z صغير.

ضغطت أمل الزر بإبهام يدها لكن لم ينجح الأمر، فجربت سحبه إلى الخلف، نجحت في إخراجه، أدارته عكس عقارب الساعة فتغير رقما الدقائق، استمرت الفتاة بتحريك الزر إلى الخلف، فاستمرت الدقائق بالتناقص إلى أن بلغت الصفر. حركت أمل الزر إلى الوراء من جديد، خرج الزر أكثر حتى أصبح على شكل مستقيم قصير ورفيع جدا، أدارت الزر في نفس الاتجاه مجددا فتغير هذه المرة الرقمان المخصصان للساعة، كررت العملية فتناقص رقما الشهر، سحبت الزر مجددا فتضاعف طوله، أدارته نحو الأمام فتضاعفت أرقام السنة الأربعة، عرفت الآن كيف تضبط ساعتها الجديدة، تناهى إلى مسمعها صوت أمها تطلب منها المساعدة في إعداد طعام العشاء فأعادت الساعة إلى مكانها وأسرعت خارج غرفتها.

الفصل 5

شرعت أمل في غسل حبات الفطر والجزر ثم قامت بتقشيرها وتقطيعها، فيما قامت أمها بسلق المعكرونة. رائحة زكية تنبعث من قدر الطعام، أحضرت لطيفة زبدية زجاجية كبيرة ووضعت بداخلها المكونات مع بعض الصلصة، خلطت المزيج جيدا ثم سكبته في صينية مع القليل من الجبن وأدخلته الفرن بعد أن ضبطت المؤقت على ربع ساعة، ثم ذهبت إلى البهو لتشاهد برنامجها المفضل، لم يمر وقت طويل حتى عمت رائحة زكية الأرجاء، فتوجهت أمل بخطى متكاسلة إلى المطبخ، لبست قفاز الطهي، فتحت باب الفرن بحذر شديد فوجدت الطبخة أتمت نضجها واكتست بقشرة ذهبية رقيقة على الوجه، فأطفأت الفرن ثم عادت واستلقت في مكانها تتابع ما بقي من البرنامج. سرعان ما تسلل النوم إلى جفونها فاستسلمت له وغطت في سبات عميق.

حين تجاوزت الساعة السادسة، دنت الأم من ابنتها برفق وأيقظتها لترافقها للتمشية خارجا. قامت أمل من مكانها وغسلت وجهها بالمياه الباردة لتطرد النوم من عينيها، رتبت شعرها قليلا وعدلت ملابسها الرياضية، انتعلت حذائها دون أن تحكم ربط خيوطه، تأبطت ذراع والدتها ثم خرجتا.

الفصل 6

اغتنمت أمل ووالدتها دفئ الجو لتخرجا إلى حديقة الحي المجاور، تعد ساحة الحديقة مرتعا للأولاد الصغار وللنساء من كافة الأعمار اللواتي تدفعهن الرغبة في التجسس والثرثرة للخروج إلى الساحة وقضاء ساعات طوال بها أكثر من الرغبة في النجاة من الحرارة المفرطة.

افترشت كل من الأم وابنتها ملاءة محشوة بعد أن وجدتا كل الكراسي محجوزة، والباقي منها تعرض للتخريب، ثم جلستا تنتظران، الأم تنتظر قدوم صديقتها والابنة تنتظر مرور الدقائق، إلى أن ظهرت ثريا صديقة لطيفة، امرأة قصيرة، بدينة إلى حد ما، ذات بشرة سمراء وشعر بني قصير أشعث، كانت ترتدي جلبابا أخضر صيفيا وصندلا بكعب قصير. حيت ثريا أمل بإيماءة من رأسها وطبعت قبلة على خد لطيفة الأيمن، ثم جلست القرفصاء بجانبها، اخذت السيدتان تتجاذبان أطراف الحديث، تارة تشهق الواحدة والأخرى تقهقه، في حين جلست أمل عاقدة ذراعيها حول ركبتيها تمسح المكان بعينيها، تراقب السيارات المارة في الشارع الرئيسي، أو تحملق في رواد مقهى "ضوء القمر" القلائل وهي تبدي امتعاضها من اقتصار زبائنه على

الرجال قسرا، بين الفينة والفينة تخرج هاتفها من جيب سروالها لتقرأ رسالة أو ترد على أخرى، رفعت رأسها ثانية، سرحت ببصرها إلى بعيد، ميزت خطوط مدرستها الجانبية الملونة، سرعان ما عادت تحدق بمن حولها فلم تتعرف سوى على طبيب الحي الكهل الواقف على عتبة داره بمنامته. مرت ساعتان قبل أن تقرر الأم أن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل، ودعت صديقتها ثم سارت بمعية ابنتها في الطريق إلى البيت.

الفصل 7

حين وصلتا، كانت عقارب ساعة البهو تشير إلى الثامنة وسبع دقائق، أعدت أمل وأمها المائدة ثم جلستا الواحدة قبالة الأخرى تتناولان طعامهما في جو يسوده الصمت، لا يكسره سوى صوت الشوكة على الطبق، أو صوت أمل وهي تطلب كوبا من العصير أو إعادة ملء صحنها. من حين إلى أخر تبديان تعليقات قصيرة حول حادثة مضت أو تسردان طريفة شهدتاها في الأيام الماضية.

بعد أن أنهتا وجبة العشاء رفعت أمل الأطباق وساعدت أمها في غسل الصحون وتنظيف المطبخ. حين فرغت من ذلك، استلقت على أريكة البهو لتشاهد قناة أجنبية تبث عروض الخفة قبل أن تدق ساعة الحائط وتعلن الأم أن ساعة الخلود إلى النوم قد حانت. فأطفأت أمل التلفاز وصعدت إلى مخدعها، لا تزال غرفة نومها كما تركتها أخر مرة، مبعثرة، رتبت بعض الأشياء الصغيرة، دخلت الحمام، فرشت أسنانها، سرحت شعرها إلى الوراء وارتدت قميص نومها، سوت سريرها ثم ارتمت عليه، أغمضت عينيها منتظرة النوم، شعرت بضوء قوي مزعج يسلط عليها من نافذة الغرفة. لم تكن أمل من ذلك

النوع الذي يشترط غياب النور تماما حوله وهبوط العتمة حتى تستطيع النوم، غير أنه في بعض الأحيان النادرة تمر فترات تصير معها أمل عاجزة عن النوم، شعاع ضوء واه يستطيع إفساد نومها. لذا تحسبا للأمر، احتفظت بعصابة عينين وردية في إحدى رفوف خزانة ملابسها. نهضت متذمرة نحو دولابها، تتحسس طريقها وسط الظلام، وضعتها على عينيها ثم عادت وارتمت مجددا على فراشها، لكن لا فائدة، يبدو أن النوم قد فر من عينيها هذه الليلة أيضا، راحت تتململ وتتقلب في فراشها يمينا وشمالا، الظاهر أن سهرة طويلة تنتظرها الليلة، نزعت العصابة عن عينيها ونهضت جالسة، ضغطت زر الأبجورة بجانبها، أصدر المصباح صوت أزيز خفيض، زفرت أمل ولسان حالها يقول كيف يمكن لهذه الليلة أن تصير أسوء، لم تدري أن الجواب ينتظرها بعد لحظات معدودة، سيكون إصلاح مصباح الأبجورة أول ما تفعله غدا، أما الأن فستعيد غطاء عينيها إلى مكانه حتى يسهل عليها إيجاده المرة القادمة. وبينما هي تسحب درج خزانتها، سمعت قطعة معدنية تقعقع داخله، مدت يدها وسط العتمة تبحث عن مصدر الصوت، لم تكن تلك القطعة سوى ساعة الجيب الفضية التي اشترتها صباح اليوم من السوق، لقد

نسيت أمرها تماما، سارت بها نحو النافذة لتتمعنها جيدا تحت ضوء القمر، نظرت إليها في حيرة، ترى إلى ما يشير الحرفان المنقوشان على الزرين ؟ أخذت أمل تعد كافة الكلمات الفرنسية والإنجليزية التي تحفظها والتي تبدأ بهذين الحرفين لكنها لم تجد واحدة مناسبة، لأن الكلمتين الخفيتين كانتا بالألمانية، ولو أنها

ربطت الحرفين بالرمز المنقوش على غطاء الساعة لعرفت بالأمر حتما، ضغطت الزر الكبير في أعلى منتصف الساعة، فدوى فجأة من العدم صوت قوي أشبه بذاك الذي تصدره المركبات الفضائية عند الإقلاع، عم ضوء ساطع المكان أنار الغرفة بشكل كامل حتى صارت معالمها واضحة كأن الشمس أشرقت وأرسلت أشعتها في منتصف الليل. أمام كل هذا لم تملك أمل سوى أن تنكمش على نفسها وتصرخ ملء حنجرتها، إلا أن صوتها ضاع وسط كل الضجيج المحيط بها فلم يكد يسمع، لم تجد الوقت والهلع يعتصر قلبها للتساؤل كيف لم توقظ هذه الضجة أمها؟!

فجأة شعرت أمل بقدميها ترتفعان عن الأرض، فتحت عينيها تدريجيا ونظرت حولها، رأت نفسها تتحرك تصاعديا إلى الأعلى، حاولت التشبث بقطعة أثاث لكن لم تفلح، مفعول الجاذبية الأرضية قد أبطل، استمر صعودها إلى الأعلى

ومعه تضاعف رعبها، ثم برز شعاعان ضوئيان راحا يدوران حولها من أخمص قدميها حتى رأسها في حركة أشبه ما تكون بحركة التفاف الأفعى حول فريستها، ثم ....

الفصل 8

شعاع ضوء قوي يضرب عينيها الناعستين، أفاقت بعد غيبوبة طويلة وهي تحس بخدر في أطرافها وصداع شديد يعتصر جانب رأسها الأيمن، يبدو أنها هوت بشدة عليه، لكنها عجزت عن تذكر متى كان ذلك، وكلما حاولت التذكر ازدادت نوبات الألم، كأن برقا يضرب جانب رأسها كلما حركته أو أجهدت التفكير، رفعت عينيها ونظرت حولها وهي لا تزال تتحسس موضع الألم بكف يدها اليمنى، وأطلقت صرخة مكتومة، أفلتت رأسها من يدها وقامت منتصبة متناسية الصداع، وعلى وجهها أعتى علامات الحيرة والهلع، أين أنا؟ وما هذا المكان؟ تساءلت في نفسها. أخذت تمعن النظر في الأرجاء، لم يسبق لها أن زارت المكان من قبل. كانت الغرفة واسعة المساحة، أشبه ما تكون ببهو منزل، هذا إذا ما تغاضينا عن الديكور الغريب والتماثيل المزروعة هنا وهناك، تحركت الفتاة بضع خطوات حذرة إلى الأمام، محدقة في المكان مشدوهة غير مصدقة ما تراه عيناها. أمامها استقرت طاولة سيراميك بيضاء، بيضاوية الشكل، تبرز من منتصفها قدم رفيعة تثبتها إلى الأرض، يحيط بها أربع كراسي بنفس الشكل، بعيدا قليلا اكتسحت شاشة

مسطحة كبيرة معظم مساحة الحائط المقابل لأمل، لا بد أن تكون هذه الشاشة تلفازا، ثم هناك العديد من التماثيل الصغيرة القبيحة، معظمها تصور ملامح أشخاص يصرخون، ترتسم على وجوههم إمارات الرعب والفزع، يبدو أن صاحب المنزل معتوه بحق، هكذا فكرت أمل، بالإضافة إلى مجسمات لكويكبات وأجرام سماوية. بجانب أمل مباشرة وضعت أريكة كبيرة متأرجحة تتسع لأكثر من أربعة أشخاص، ترتفع عن الأرض حوالي عشرة سنتمترات، شدت بحبلين متينين من كل جانب إلى السقف.

استدارت أمل خلفها فوجدت ستارة كبيرة تتدلى إلى الأرض، تغطي الجدار خلفها بأكمله، وبينما هي تخطو إلى نحوها مترددة، سمعت ضوضاء قادمة إليها، صوت ارتطام كعب حذاء مع الأرض، فاتجهت بسرعة نحو الأريكة واختبأت خلفها، تبحث بعينيها عن مصدر الصوت، فجأة شطر حائط جانبي بالغرفة إلى قسمين وظهرت من خلفه امرأة غريبة الشكل، قصيرة القامة، نحيلة، شعرها أسود داكن قصير يتجاوز أذنيها، تتخلله خصلات حمراء اللون، ملابسها مريبة، كأنها خرجت لتوها من أحد أفلام المجرات والخيال العلمي، كانت ترتدي صدرية معدنية بدون أكمام ذات أكتاف طويلة بارزة تشبه أذنين طويلتين، مع سروال جلدي أسود، وتنتعل حذاء ذا كعب عالي مرصع

بمجوهرات صغيرة، وتضع قرطين مختلفين من الياقوت، الأول على شكل هلال والاخر نجمة، يبدو أنها صاحبة المنزل، هكذا خطر ببال أمل التي ظلت مختبئة لا تحرك ساكنا، تحكم قبضتها على الساعة، لا شك أن هذه الساعة هي المسؤولة عن كل ما حدث. لا يسعها الآن سوى التفكير في طريقة للخروج من هذا المنزل الغريب.

توجهت السيدة إلى منتصف الغرفة وأخرجت من جيب سروالها الخلفي هاتفا ذكيا، نقرت عليه بضع نقرات، أبعدته عنها قليلا، لحظات معدودة حتى انبعثت من الجهاز صورة مجسمة لرجل يبدو في بداية الثلاثينات من عمره، ذو جسم رياضي، شعره أسود كثيف، يرتدي قميصا أبيض ضيقا بأكمام طويلة وسروال جينز، يضع قرطا أسودا في أذنه اليسرى وسلسلة فضية رفيعة حول عنقه. تبادلا معا بضع كلمات سريعة مقتضبة بالإنكليزية بلكنة غير مألوفة، لم تفهم منها أمل سوى أنه سيعود إلى البيت حالما ينهي أعماله، لا ريب أنه صاحب المنزل، زوج هذه السيدة. ثم انقطع البث، أعادت هذه الأخيرة الجهاز إلى جيبها، ثم التفتت يمينا ويسارا كأنها تبحث عن شيء أضاعته، إلى أن عثرت عليه، كانت سحلية إيغوانا مستلقية على إحدى الكراسي، حملتها بين ذراعيها تداعبها، اتجهت إلى الأريكة واستقرت بمنتصفها وهي

لا تزال تداعب الإيغوانا، أخرجت الهاتف مرة أخرى لتتفقده بعد أن أصدر نغمة قصيرة، قرأت الرسالة الواردة وحين همت بإعادته إلى جيبها أوقعته أرضا تحت الأريكة، قامت من مكانها، جثت على ركبتيها، أخذت تتحسس الأرضية لكنها لم تعثر عليه، فكرت في أن الوصول إليه سيكون أسهل من الجهة المقابلة، فأطلت برأسها خلف الكنبة حيث تختبئ أمل، وحين رأتها صرخت بقوة، ذعرت الإيغوانا فقفزت من حضن مالكتها على رأس أمل، فزعت الفتاة فقامت من مكانها تجري في الغرفة، تحرك رأسها يمنة ويسرة وهي تصرخ، أوقعت التماثيل الغريبة وبعض الكويكبات، ثم لمحت في غمرة من هذه الفوضى باب الغرفة الجانبي، فاتجهت نحوه مسرعة، فتح الباب على مصراعيه، قادها إلى ممر جانبي طويل علق على جدرانه العشرات من الصور ذات طابع عائلي. قطعت أمل الممر ركضا حتى وصلت إلى باب آخر فتح من تلقاء نفسه، خرجت منه لتجد نفسها مباشرة أمام سبعة مصاعد في ردهة صغيرة، توجهت إلى الأقرب إليها وصعدت على متنه.

الفصل 9

كان المصعد عبارة عن غرفة صغيرة، تشبه صندوقا من الألومينيوم يتسع لخمسة أشخاص على الأكثر، تصميمه لا يقل غرابة عن المنزل ولا عن صاحبته، فقد كان خاليا من أزرار التحكم ومن أرقام الطوابق أيضا، ما عدا مقبضين طويلين، ثبت كل واحد منهما على جانبي المصعد بشكل يجعلهما متقابلين. لم تدري أمل الغرض منهما للوهلة الأولى، وساعة إلكترونية تشير إلى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وتاريخ اليوم غشت الخامس والعشرون من عام 2123، ثبتت مباشرة فوق الباب الذي كان عبارة عن مرآة. سمعت أمل صوتا أنثويا ناعما يقول بكلمات إنكليزية واضحة :" صباحكم سعيد، إلى أي دور ترغبين في التوجه إليه ؟" تسمرت أمل في مكانها مرتبكة، لا تدري ماذا تفعل، تمتمت بصوت خافت بكلمات مبهمة، فعاود الصوت يقول :" هلا رفعت صوتك قليلا"، تيقنت أمل أن الكلام موجه إليها فأجابت بصوت مرتفع: " أريد الذهاب إلى الدور الأرضي. " فأردف الصوت :" تشبثي جيدا. " وقبل أن تنفذ الكلمات إلى وعي أمل، تحرك المصعد بسرعة جنونية، نتج عن ذلك وقوع أمل أرضا وارتطام رأسها بقوة. " نتمنى

لك يوما طيبا "، قال الصوت. نهضت أمل وهي تنفض الغبار عن قميص نومها، وقالت بتذمر: " لما لم تخبريني منذ البداية. " ثم مضت خارجا وهي تتحسس الإصابة على جبهتها. سارت أمل حافية القدمين لمدة طويلة في شوارع المدينة الموحشة، وهواء الليل البارد يلسع وجهها تسمع من بعيد صوت نباح الكلاب الضالة ومواء القطط. أخذت تفكر محاولة فهم ما حدث لها، أين هي الأن؟ كيف وصلت إلى منزل تلك السيدة؟ ماذا كانت تفعل هناك؟ وكلما حاولت شحذ ذاكرتها اشتدت نوبات الألم. مضت أزيد من ساعتين وأمل تمشي دون وجهة حتى قادتها قدماها إلى دكان صغير لم تطفئ أنواره بعد، اقتربت من باب الدكان الموارب فلمحت رجلا آليا يتحرك مسرعا هنا وهناك، ينقل أجهزة صغيرة إلى علبة كرتونية كبيرة، اختبأت أمل خلف باب الدكان تحدق في الآلي مشدوهة، حتى استدار على حين غرة ولمحها، أوقع ما بيده أرضا مفزوعا وصرخ بعربية سليمة " من هناك ؟" لم تدري أمل ماذا عساها تفعل، هل تهرب مثل كل مرة أم تواجه؟ اقترب الآلي من الباب بحذر متسلحا بعصا ثقيلة يحملها بصعوبة، ضربة واحدة بهذه العصا على الرأس من شأنها أن تودي بحياة الشخص. فتح الآلي الباب بقوة، تراجعت أمل إلى

الوراء خطوتين، أفلت الرجل الآلي الهراوة عندما رأى أمل وجها لوجه فأصدرت صوتا مدويا، وصاح متعجبا "فتاة".

الفصل 10

فوق صندوق كرتوني كبير وضع أرضا جلست أمل، بشعر منكوش ووجه شاحب وعينين منتفختين قليلا جراء السهر تحملق في المكان، غرفة واسعة لكنها مكتظة بشكل تصعب معه الحركة مما يجعلها تبدو ضيقة، ما من بقعة إلا ورصت فوقها صناديق مختلفة الأحجام، أو أجهزة إلكترونية مفككة. الجدران مطلية بلون أصفر باهت، وضعت وسط الغرفة طاولة اشتغال كبيرة تحمل مفكات، براغي، أدوات أخرى غريبة الشكل هنا وهناك، إضافة إلى جملة من الأجهزة المعطلة يبدو أنها قيد الإصلاح.

دخل الرجل الآلي عبر باب ضيق يقود مباشرة إلى سلالم تؤدي للأعلى، توجه نحو أمل وألقى إليها بغطاء، لم تدرك أمل أنها ترتجف بردا حتى اللحظة. بادرها الآلي "صحيح أننا في فصل الصيف، لكن درجة الحرارة تنخفض بشكل رهيب أثناء الليل." تدثرت أمل بالغطاء وابتسمت في وجهه ممتنة، وهي لا تزال تنظر حولها مشدوهة، عيناها زائغتان لا تتوقفان عن الدوران، عقلها عاجز حتى الساعة عن التصديق، شيء ما بداخلها يخبرها أن النهاية لا تزال بعيدة وأنها ستمر بفترات عصيبة. الطقس في الخارج يزداد برودة، لا شيء

يبدد وحشة الليل سوى قرص البدر المنير، اقتربت من باب الدكان ببطء، حتى تشاهد السماء، لم يسبق لها أن رأتها هكذا من قبل متزينة ببساط من النجوم اللامعة، وضوء القمر يرخي بظلال ساكنة تبعث الهيبة والسكون لا يقطعه سوى ضجيج أفكار أمل.

ابتدرها الآلي قائلا:" كيف عرفت أنها ساعة تخول لك سفر عبر الزمن؟"

أجابته أمل :" لم أكن أعرف ذلك، كل ما في الأمر أنني أعجبت بشكلها الخارجي فقط، النقوش والزخرفة على الغطاء."

-"أرني الساعة إذا."

أدخلت أمل يدها في جيبها الأيمن لتخرج الساعة، لكنها لم تجدها. بدا التوتر على محياها، أخذت تبحث بقلق في ثنايا ثوبها، لا شك أنها أوقعتها في منزل تلك السيدة. نظر إليها الآلي مطولا قبل أن يسأل:" أضاعت منك الساعة؟"

أجابته أمل: "علي العودة إلى منزل تلك السيدة"

-"تلك مخاطرة، لقد كشفتك السيدة في منزلها، هي تعتقد أنك لصة، مما يعني أنها أبلغت الشرطة، ستكون طوقت منزلها بالحراسة، فالظاهر أنها فاحشة الثراء... ثم إنك استعملت المصعد هناك، مما يعني أنها حصلت على صورة واضحة لك، المبنى بأكمله مزود بكاميرات المراقبة. لن تستطيعي

العودة إلى هناك ولا حتى الخروج من هنا، فقريبا ستنشر صورك وسيبدؤون في البحث عنك. هل متأكدة أنك أوقعت الساعة هناك؟"

أجابته أمل:" متأكدة أنني أوقعتها تحت الأريكة."

-"غالبا سيعثر أحدهم عليها، سيبحثون في المنزل عن أي آثار قد تقود إليك، وسيقومون بجرد وتفقد الممتلكات ليروا أيها سرقت."

-" ومالعمل إذا؟"

-"أن نتقصى أولا ثم نضع خطة محكمة. هل تعرفين من السيدة صاحبة المنزل؟

-" لا، كيف لي أن أعرفها."

سكت الآلي لبرهة ثم قال:" سندبر طريقة لإعادتك إلى منزلها، سيكون ذلك مستحيلا إلا إذا...."

الفصل 11

يتكون منزل الآلي حيث توجد أمل من دور أرضي وطابقين علويين مرتبطين بسلم داخلي، وعلى خلاف باقي منازل المدينة هو منخفض جدا ولا يشمل أية مصاعد. الدور الأرضي هو الغرفة حيث يشتغل الآلي، يعمل عادة على إصلاح الآلات والأجهزة المعطلة أو ابتكار وتطوير أخرى نادر المرات، في زاوية الغرفة يوجد سلم يؤدي مباشرة إلى الطابق العلوي، حيث نجد مطبخا صغيرا ،غرفة معيشة بسيطة وحماما. ثم الطابق الثاني الذي يتكون من غرفتي نوم صغيرتين وحمام آخر. لاحظت أمل أن هذا المنزل متواضع أو أقل تطورا من منزل السيدة.

يعيش في هذا البيت برفقة الآلي روب ,السايبورغ جييت « Jeet » , نصف رجل نصف آلي. في الواقع ولد جييت كإنسان طبيعي، لكن في سن الثامنة تعرض هو وعائلته لحادث سير خطير فقد على إثره أبويه وشقيقه الأكبر، كما بترت أطرافه العلوية وتضررت أعضاؤه الداخلية بشكل كبير، إلا أنه نجا بمعجزة، يعيش الأن بنصف رئة، نصف كبد، وكلية واحدة. كما أن قلبه نصف صناعي يعمل بطريقة آلية، وأجزاء من شق مخه الأيسر استبدلت بأخرى

صناعية، لهذا هو سايبورغ. جييت إن صح القول، رجل في بداية الثلاثينات من عمره، ذو أصول هندية، قدماه وساقاه طبيعية، فيما يداه من السليكون، طويل القامة بشكل استثنائي، زرعت على ساعده الأيمن شاشة رقمية متصلة بالأنترنيت، تشير إلى درجة حرارة جسمه ونبضات قلبه وباقي العمليات الحيوية، يستطيع من خلالها كذلك الولوج إلى المتصفح غوغل. رأسه أصلع إلا من بعض الشعيرات على جانبيه الأيمن والأيسر، فبالرغم من أنه لا يزال شابا، إلا أن الحادثة أفقدت جسمه القدرة على القيام بالعديد من الوظائف مثل إنتاج صبغة الميلانين. يخرج من منتصف رأسه قرن استشعار معقوف من الأعلى نحو الأسفل، ينتهي بعين كروية صغيرة، يستشعر بواسطتها الحرارة والاتجاهات ويلتقط الأصوات الخافتة، تلك التي يعجز الإنسان عن سماعها، كما تمكنه من التواصل عبر التقاط الموجات اللاسلكية أو حتى محطات الراديو. عين جييت اليمنى طبيعية، بينما اليسرى عبارة عن كاميرا متطورة، أنفه ولسانه طبيعيان، من دم ولحم، لكنهما كما يقول روب معطلان ولا يمكن إصلاحهما، فهما عاجزتان عن الشم والتذوق. جييت اسم على مسمى، له من اسمه الهندي نصيب، فهو الناجي الوحيد وآخر من تبقى على قيد الحياة من عائلته. بفضل مواهبه و إمكانياته

الفريدة يشتغل جييت كتقني استخبارات أمني لصالح بعض الشركات الخاصة أو لصالح الشرطة، فرق الاستخبارات وأجهزة الأمن أحيانا. لكنه في باقي الأيام يساعد روب في إصلاح الأجهزة المعطلة، إعادة تدويرها أو ابتكار واحدة جديدة أحيانا. لدى جييت عادات غريبة من قبيل أنه لا ينام سوى ساعتين يوميا، لا يحتمل الضجيج إطلاقا، إضافة إلى معاناته المريرة من تقلبات مزاجية وعاطفية حادة نتيجة إصابته باضطراب ثنائي القطب.

الفصل 12

دقت ساعة غرفة المعيشة معلنة الساعة التاسعة باعثة نغمات حادة متقطعة، كانت الغرفة صغيرة المساحة إلى حد كبير، متواضعة الأثاث، جدرانها مطلية باللون الأبيض حتى توهم الجالس بمساحة إضافية. تتلخص قطع الأثاث في: كنبة قماشية، على جانبيها وضع كرسيان خشبيان، أمامها مباشرة طاولة مستطيلة مغطاة بشرشف أبيض، في نهايته تطريزات على شكل عصافير، تحمل بقايا وجبة فطور: كوبان من الشاي فارغان تقريبا وفتات بسكويت. على الحائط المقابل استقرت شاشة تلفاز ضخمة، نبتة بلاستيكية في إحدى الزوايا ثم سجاد على الأرضية.

يحرص كل من الآلي روب والسايبورغ جييت على إسدال ستائر النافذة حتى الأرض، من أجل منع طائرات الدرون من تصوير من في الداخل، خاصة أمل.

تنقسم طائرات الدرون أو طائرات المراقبة إلى ثلاث مجموعات:

-المجموعة الأولى، تسمى النسور، تتمثل مهامها في تفقد سلامة الممتلكات العامة والبنية التحتية للمدينة، وفي حالة تعرض إحداها للتخريب أو أي عطل، تقوم طائرات هذه الفرقة بإشعار الجهات المسؤولة،

و إرسال صور و إحداثيات الموقع، مع تقرير مفصل يشرح سبب العطل وأحيانا الحلول الملائمة.

-المجموعة الثانية، تلقب بالصقور السوداء: هدفها حفظ أمن وسلامة المواطنين، مراقبة الشوارع والمباني وهذه الفرقة هي الأكبر عددا.

-المجموعة الثالثة، أو مجموعة العقبان الذهبية، واجبها هو البحث عن المطلوبين للعدالة، المجرمين الفارين والمشتبه بهم أيضا، بالإضافة إلى حالات اختفاء المواطنين، وهي الفرقة الأقل عددا إذ لا يستعان بخدمتها إلا في حالات خاصة مثل البحث عن متغيبين.

جلست أمل على الكنبة القماشية أمام كأس شاي فرغت من شربه، شاردة. سحب روب إحدى الكراسي وجلس قبالة أمل مباشرة، ابتدرها قائلا: "عليك أن تستعيدي الساعة عاجلا قبل المساء، إن تجاوزت هذه المدة فسيستحيل عليك عبور باب المنزل. صورك ستنشر في كل مكان وسيعلم كل من في البلاد بأمرك." سمعا جلبة في الطابق السفلي، صرير خطوات آلية ثقيلة متسارعة، تصعد السلالم ثم تعبر الممر مقتربة منهم. دلف جييت الحجرة وهو يلهث، اقترب منهم أكثر وصاح مخاطبا أمل:" لدي خبران، الأول: لم تعثر الشرطة بعد على الساعةٍ، ربما لا زالت ضائعة في منزل السيدة، عليك

العودة إلى هناك فورا للبحث عنها.... الثاني: فرقة العقبان الذهبية تبحث عنك الآن، سرعان ما سيصلون إليك."

لا بد لهم الآن من وضع خطة محكمة تمكن أمل من التسلل إلى منزل السيدة، لكن كيف السبيل إلى ذلك والمنزل بات مشدد الحراسة، وهويتها صارت معروفة لدى الأمن، سيكون الأمر أشبه بعملية انتحارية.

بالاستعانة ببعض المعارف تمكن جييت من اختراق شبكة اتصالات منزل السيدة، وسماع محادثاتها الأخيرة قبل مجيء أمل، فتوصل إلى معلومات مفيدة، صاحبة المنزل تشكو من عطل متكرر يصيب أجهزة التكييف مما يجعل درجة الحرارة تنخفض تارة إلى درجة التجمد، وترتفع تارة لحد الشعور بالاختناق. أجرت السيدة عدة مكالمات مع شركات الصيانة، لكنها لم تستطع الحصول على موعد قريب رغم إلحاحها. هنا خطرت ببال جييت فكرة، طريقة تمكنهم من دخول منزل السيدة بشكل مشروع وبأقل الخسائر.

الفصل 13

فكر جييت في أن الطريقة المثالية التي ستمكنهم من ولوج منزل السيدة بدون أدنى مخاطرة هي التنكر في زي عمال الصيانة. تحدث أولا عبر الهاتف مع صاحبة المنزل بصفته عاملا لدى إحدى شركات الصيانة التي راسلتها سابقا، وضرب لها موعدا في الثانية بعد الزوال، كما طلب منها أن تيسر دخولهم إلى المنزل نظرا لضيق وقتهم والتزامهم بمواعيد مع زبناء غيرها. ثم توجه بعدها مباشرة بمعية روب إلى مطرح سيارات قديمة بالقرب من المنزل، للبحث عن شاحنة تناسب مهمتهم، تطلب منهم إيجاد الشاحنة و إحضار باقي الأدوات التي سيحتاجونها قرابة الثلاث ساعات.

وضعت أمل شعرا مستعارا أرجوانيا طويلا، عدسات عينين زهرية، وعصابة سوداء على عينها اليسرى، ثم طلت وجهها بمساحيق التجميل لتحريف ملامحه، وارتدت مثل روب وجييت زي العمل الموحد إضافة إلى قبعة وجزمة جلدية سوداء. وقفت الفتاة مشدوهة أمام المرآة تكاد لا تعرف نفسها بخصلات الشعر الملونة وملامح وجهها المغايرة، عدلت قبعتها ثم خرجت من الغرفة لتلحق بالآخرين. تجمع الثلاثة في حجرة المعيشة حول الطاولة

يدرسون آخر تفاصيل الخطة، قبل أن يوزع عليهم روب بطاقات هوياتهم المزيفة، أخذت أمل تقرأ المعلومات على ظهر بطاقتها بصوت مسموع، ثم سألت:" لكن الصورة في البطاقة مختلفة عني تماما، من السهل عليهم كشف تزييف البطاقة." رد عليها جييت:" لا أحد يبالي بالصور هذه الأيام، فمن السهل عليهم تغيير أحدهم لمظهره، ثم إننا سنحمل هذه البطاقات من أجل الاحتياط لا غير، من المستبعد أن يطلبوا منا إظهارها."

كانت الساعة تشير إلى الواحدة والربع حين خرج الثلاثة من مقرهم وركبوا الشاحنة، جييت تولى القيادة، جلس بجانبه روب، فيما استقرت أمل في الكرسي الخلفي، سيضطرون للقيادة حول المنطقة لتفادي أي نقاط تفتيش محتملة أو الاصطدام بسرب العقبان الذهبية. استغرق منهم المسير إلى وجهتهم حوالي ساعة من الزمن، خلال هذه المدة قاموا بمراجعة الخطة أكثر من مرة، ليتأكد كل واحد منهم من حفظه لدوره عن ظهر قلب. لم تتمكن أمل من اكتشاف المدينة ولا حتى رؤية شوارعها، كونها ظلت مختبئة في الكراسي الخلفية للشاحنة مبتعدة عن النوافذ رغم أنها معتمة. عرفت أمل فيما بعد أن طلاء نوافذ السيارات والمنازل أصبح أمرا لا بد منه في ظل انعدام الخصوصية لدى الأفراد، ومع ارتفاع معدلات الجريمة إلى أقصى

مستوياتها صار وضع كاميرات المراقبة واستعمال السيارات للتنقل حتى للمسافات القصيرة أمرا ضروريا، أما علية القوم فلا يسعهم سوى إحاطة أنفسهم بالحراس الآليين.

الفصل 14

توقفت الشاحنة في باحة خلف المبنى السكني كما أمر العاملون بالمكان، نزل أولا جبيت وروب ثم أشارا لأمل بالنزول، عدلت الفتاة قبعتها ووضعت كمامة على وجهها ثم نزلت هي الأخرى، تحمل على كتفها حقيبة معداتها. سار الرجلان في المقدمة وخلفهما أمل، يسبقانها بخطوتين. عبر الثلاثة الحاجز الأول : بوابة المبنى بنجاح، ثم اتجهوا نحو المصعد، أصعب معبر، سبق لأمل استخدام هذا المصعد ليلة وصولها، مؤكد أن الكاميرات داخله وداخل باقي المبنى التقطت صورا واضحة لها، رهان أمل الوحيد الآن هو تنكرها. دخلت أمل مباشرة بعد رفيقيها إلى المصعد، استقرت في إحدى الزوايا ونظراتها مثبتة نحو الأسفل، لا تقوى على رفع رأسها. جبينها يتصبب عرقا من فرط التوتر، كلما مضت الثواني وهي داخل المصعد كلما شعرت بالاختناق والدوار، أسندت ظهرها إلى الحائط فساقاها لم تعد تتحملان الوقوف. ربما تكون كاميرات المراقبة تعرفت بالفعل على وجهها، في أية لحظة قد تنطلق صافرات الإنذار ثم يلقى القبض عليها، يكاد يغمى عليها لمجرد تفكيرها بالأمر. الزمن بالنسبة لها توقف داخل المصعد، الثواني كأنها

أبدية، لا يسعها سوى عقد كفيها والدعاء. سيول من العرق البارد تنهمر من أعلى ظهرها حتى أسفله، يداها ترتجفان، حتما هذه هي النهاية، شريط حياتها يعرض أمام عينيها، أيامها بالمدرسة، الليالي الصيفية الطويلة، أحلامها التي كانت تتمنى تحقيقها، ثم أمها كيف ستكون ردة فعلها حين تجد أن ابنتها مختفية. غارقة في هواجسها لم تلحظ أمل أن باب المصعد إلا على وقع صدى خطوات روب وجييت التي أفاقتها من هذيانها، تنفست أمل الصعداء، حملت حقيبة المعدات من على الأرض وهرولت مسرعة للحاق برفيقيها، يبدو أن تنكرها قد أتى أكله. توقف الثلاثة أمام باب شقة السيدة، باب مطلي باللون الأبيض، على جوانبه حلقة بيضاوية شكلت بنجوم، ورموز أطوار القمر باللون الذهبي. رن روب جرس المنزل، ما هي إلا لحظات حتى فتح الباب على مصراعيه وظهرت خلفه سيدة المنزل بخصلات شعرها الملونة، على كتفها استقرت سحليتها الغبية، كانت ترتدي بذلة ضيقة مكشوفة الظهر، تنحت قليلا مشيرة لهم بالدخول. أصابعها مزينة بخواتم فضية كبيرة، أظافرها طويلة سوداء أشبه بأظافر طائر كاسر، حذاؤها مرصع بالألماس يتجاوز طول كعبه السبع سنتيمترات يصدر صوتا قويا كلما ارتطم بالأرض. انزوت صاحبة البيت برفقة روب في الركن تبسط عليه مشكلة المكيفات

بالتفصيل، في حين تسمرت أمل في مكانها، تمسح الغرفة بعينيها متسائلة أين يمكن للساعة أن تكون. لا يزال أثاث الغرفة كما كان عليه الليلة الماضية، لم تحرك ولو قطعة واحدة منه، تذكرت أمل أنها كانت تختبئ خلف الكنبة، أغلب الظن أنها أوقعت الساعة تحتها، لو كان الأمر غير ذلك لعثر عليها. كيف السبيل للوصول إلى هناك. التفتت إلى رفيقيها فوجدتهما لا يزالان يناقشان السيدة، عليها إخبارهما بالأمر حتى يدبرا حجة مناسبة لها. دخول بيت أحدهم والتنقيب تحت أريكة بهوه أمر يثير الريبة، لا سيما و إن كان قد تعرض مسكنه في الأيام القليلة الماضية للاقتحام. توجه روب إلى لوحة عدادات المنزل وأخذ يضغط أزرارها وصاحبة المنزل لا تزال بصحبتهم، عليها إيجاد طريقة للتخلص منها، استغلت انشغال السيدة مع روب، وتوجهت إلى الزاوية حيث يخرج جييت معداته متظاهرة بمساعدته لتهمس في أذنه بمكان الساعة المحتمل. صار عليها الأن تنفيذ الخطة البديلة: التظاهر بالإغماء. استدارت أمل وعادت حيث كانت تقف عند حقيبتها، تجاوزتها قليلا ثم ومن دون أي مقدمات وقعت أرضا. هنا يحين دور جييت، وثب نحو أمل، حملها بين ذراعيه واتجه بها إلى الأريكة. وقف عند رأسها متظاهرا بتقديم الإسعافات الأولية لها. حاولت صاحبة المنزل الاقتراب من

أمل، لكن روب منعها من ذلك وطلب منها إحضار كوب من الماء البارد، ما إن غادرت السيدة حتى قفزت أمل من مكانها وحشرت نفسها تحت الأريكة، تتلمس الأرضية بيد بحثا عن الساعة وتحمل بالأخرى مصباحا يدويا، في حين انهمك جييت في البحث تحت ستائر النافذة، أما عن روب فدوره كان الحراسة. بدأ الهلع يتسلل إلى قلب أمل، هل يعقل أنها أوقت الساعة في مكان غير هذا، أو أن أحدهم قد عثر عليها قبلها. حشرت جسمها أكثر وأخذت تمسح الأرضية بشكل هستيري، حتى اصطدمت بجسم معدني بارد. يكاد قلبها يقفز إلى فمها، طلبت من جييت وهي تلهث أن يحمل الكنبة قليلا حتى يتسع المكان لها، أدخلت جسمها أكثر حتى تحكم إمساك الجسم المعدني، أخذت تمرر أناملها فوقه، إنها الساعة فعلا، لا يمكن أن تكون غير ذلك، كلما تحسست النقوش تداعب كفها، شعرت بالارتياح، بعد عناء نجحت في إخراج الساعة. خبأتها في جيب سترتها الداخلي، وابتسامة نصر تملء محياها.

كانت هذه أول مرة تبدي مشاعر الفرح والارتياح منذ أن وطأت قدماها هذا العالم الغريب. أمرهما روب بالإسراع لأنه يسمع صوت خطوات السيدة يقترب منهم، "علينا إخراجك من هنا حالا" قال جييت مخاطبا أمل ثم حملها

مرة أخرى وأكمل مخاطبا صاحبة المنزل حين ظهرت على عتبة الباب وفي يديها قنينة ماء :"أخشى أنه علينا المغادرة الآن، زميلتنا تحتاج تدخلا طبيا عاجلا." ثم عبر البهو مسرعا بأمل نحو الباب يتبعه روب، يحمل حقائب المعدات تحت ناظري السيدة التي لم تحرك ساكنا، بل اكتفت بمراقبتهم بتوجس دون أن تنبس ببنت شفة. ما إن خطا الثلاثة خارج المنزل حتى دوت صافرات الإنذار. أقفلت المصاعد وجميع مخارج ومداخل المبنى السكني. اقتربت منهم السيدة، وقالت بصوت واضح :"علمنا أنك ستعودين، تعمدنا ترك الساعة في مكانها والتظاهر بجهلنا للأمر، لأنك ستعودين من أجل الساعة."

سمعوا صوت جلبة قوي قادما من أسفل السلالم، لم يتبقى أمام أمل ورفيقيها أي خيار سوى التوجه إلى السطح بعد إدراكهم أنهم حوصروا. صعد الثلاثة السلالم قفزا ورجال الأمن خلفهم يوشكون على إمساكهم. جييت يتأبط روب الذي لم تعد عجلته تقوى على الحراك، بينما أمل تتحسس الساعة، تمرر كف يدها فوق جيب سترتها وترمي قطع تنكرها أرضا، بين الفينة والأخرى تصرخ هلعا: "يوشكون على الوصول إلينا !!!"

وصل الثلاثة إلى السطح وأنفاسهم تكاد تنقطع من شدة الإعياء. من حسن حظهم أن مخرج الطوارئ لم يكن مقفلا، فقوانين سلالم الطوارئ لا تزال سارية حتى في المستقبل. جلست أمل القرفصاء بعد أن أخرجت الساعة وهي لا تكف عن اللهاث. فتحت غطاءها، سحبت الدبوس الصغير على جانبها، وأخذت تضبط الأرقام على التاريخ المناسب، تسحب الدبوس تارة وتضغطه أخرى إلى أن نجحت في تشكيل التاريخ الذي تريده. استغرق الأمر منها مدة أطول هذه المرة، لأن يديها كانتا ترتجفان. هذه المدة كانت كفيلة بوصول قوات الأمن القومي إليهم. كانوا قرابة عشرة رجال مفتولي العضلات، ملثمين، مدججين بالسلاح، يلتحفون السواد. أشهروا رشاشاتهم النارية في وجه أمل ورفاقها، أمروهم بالاستسلام و إلقاء أسلحتهم أرضا، ثم حاولوا تطويق أمل، لكنها فرت مبتعدة إلى الطرف الآخر وضغطت الزر الكبير أعلى منتصف الساعة. لم يختلف الموقف هذه المرة عن ذاك سابقا بغرفتها، الصوت المدوي الذي يصم الآذان، ثم الضوء الساطع. أحست أمل بقدميها ترتفعان عن الأرض، تلتف حولها أشعة الضوء في شكل نسيج متماسك وسط ذهول وشهقات الحاضرين. لم تقوى أمل على فتح عينيها، فالنور يكاد يخطف بصرها. أخذت حلقة الأضواء تضيق حولها شيئا فشيئا

وهي تواصل ارتفاعها في الجو، ومعها يزداد وهج الضوء. حاولت أمل تغطية عينيها بمرفقيها فأفلتت الساعة من يديها، سبحت في الهواء نحوها ومدت يدها لالتقاطها، فور ملامستها للساعة بدأت تهوي للأسفل بسرعة جنونية ....

الفصل 15

فتحت أمل عينيها فوجدت نفسها ممددة على أرضية غرفتها وألم شديد يعتصر فقرات ظهرها، يبدو أنها وقعت من على السرير. دخلت أمها الغرفة مذعورة، وسألتها بصوت مفجوع :" سمعت صوت ارتطام قوي بالأرض، هل سقطت من على سريرك؟ هل أنت بخير؟"، اكتفت أمل بهز رأسها إيجابا وهي تتحسس موضع الألم في ظهرها، سألتها أمها وعلامات القلق لم تفارق محياها: "أ هو كابوس آخر؟" أجابت أمل: "نعم." اقتربت الأم من ابنتها، ساعدتها على النهوض وطلبت منها الاستعداد من أجل مرافقتها إلى التسوق.

اغتسلت أمل، لبست ثيابها، سرحت شعرها، تناولت الفطور على عجلة من أمرها، ثم غادرت المنزل صوب السوق الأسبوعي صحبة أمها. لم تتوقف أمل عن التفكير في حلمها طوال الطريق، تحاول شحذ ذاكرتها لاسترجاع باقي تفاصيله. لاحظت الأم إمارات القلق جلية على وجه ابنتها فبادرتها بالسؤال وعيناها مثبتتان على المرآة الجانبية للسيارة:" ألا زال ذلك الكابوس يشغل بالك؟ يبدو أنه كان قويا هذه المرة؟"

-أجابتها أمل :" كان غريبا."

-"إنها مجرد أضغاث أحلام، لا تكترثي لها." سكتت قليلا ثم أكملت :"لن نتأخر هذه المرة في التسوق، أعدك بذلك."

على غير العادة لم يكن السوق مكتظا، مما سهل على أمل ولطيفة التنقل ومكنهم من ربح الوقت. لكن بالرغم من ذلك، حرصت الفتاة على إمساك يد والدتها وعدم إفلاتها، خصوصا عند عبور تلك الشوارع الضيقة. توجهتا رأسا نحو زقاق تباع فيه قطع الأثاث المنزلي المستعمل، طفقت الأم تحوم حول الباعة لعلها تجد ضالتها. اقتنت من إحدى البائعات العجائز زوجا من التماثيل الخزفية على شكل بجعتين صغيرتين، بينما تهم الأم بدفع الحساب، لاحظت أمل سيدة عجوزا، ليست بالبعيدة عنها، تفترش الأرض، اشتعل رأسها شيبا وتغضن جبينها، تبيع جملة من الأغراض غير متناسقة: صحونا مزخرفة، قطع زينة صغيرة، ثيابا مستعملة وأدوات مطبخ. أخذت تمسح بيديها المعروقتين إحدى الأطباق. وجه هذه العجوز مألوف لدى أمل، خصوصا عيناها الغائرتان. أفلتت أمل يد أمها واقتربت من البائعة لتتفرج على سلعها المعروضة، ما إن وقفت قبالتها حتى شهقت مذعورة لما رأته

بين القطع المعروضة، ساعة جيب فضية بسلسلة، نقش على غطائها نسر يفرد جناحيه بشكل مهيب، تماما مثل تلك التي في الحلم ....

النهاية

تم بحمد الله.